

السيدة نفيسة رضی الله عنها

حرم جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاشتدّ ذلك على أهل مصر، وشقّ عليهم أن تفارقهم وقد لمسوا نفحاتها، وعرفوا هداها وتقواها، وما أفاضه الله تعالى عليها من فيوضات، وما يحيطه بها من تجلّيات ومشاهدات، فالتمسوا منها العدول عن عزمها، ورجوها البقاء بين ظهرانهم، فأبت عليهم طلبهم، وصارحتهم بأنّها تريد انفرادها لعبادة ربّها، ولا يشغلها منهم شاغل، ولمّا رأوا منها إصراراً على مغادرة الديار، ولوّوا وجوههم نحو والي مصر السري بن الحكم بن يوسف ([371]). وكان آل السري يكبرون السيدة نفيسة ويعظّمونها، ويكثرّون من زيارتها وتعهدّها، ويعرضون عليها خدمتهم إيّاها، وما أن ذهبت جمهرة من محبّيها إلى السري يخبرونه بعزمها، ويسألونه أن يتوسّل إليها في العدول عن عزمها، فانتقل السري إليها يستعطفها ويرجو بقاءها بمصر، فقالت: إنّني كنت قد اعتزمت المقام عندكم، غير أنّني امرأة ضعيفة، وقد تكاثر الناس حولي، وأكثروا من زيارتي، فشغلوني عن أورادي، وجمع زادي لمعادي، غير أنّ منزلي هذا يضيق بهذا الجمع الكثيف والعدد الكثير، وقد زاد حنيني إلى روضة جدّي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لها السري: يا ابنة رسول الله، إنّني كفيل بإزالة ما تشكين منه، وسأُهمّد لك السبيل، وأُهيئ لك ما فيه راحتك ورضاك، أمّا ضيق المنزل فإنّ لي داراً واسعة بدرب السباع، وإنّني أُشهد الله تعالى أنّني قد وهبتها لك، وأسألك أن تقبليها منّي، ولا تخليني بردّها علىّ، فقالت بعد سكوت طويل: إنّني قد قبلتها منك، ثم قالت: يا سري، كيف أصنع بهذه الجموع الكثيرة، والوفود الغفيرة؟ فقال: تتّفقن معهم على أن يكون للزوّار في كلّ جمعة يومان، وباقي الأسبوع تتفرّغن لعبادتك وخدمة مولاك، فاجعلي يومي السبت والأربعاء للناس، فقبلت منه